التعليم الأهلي وتحديات العولمة

أ.م.د جبار هاشم الزبيدي
قسم اللغة الانكليزية
كلية التراث الجامعة

المستخلص

يتصدى البحث الى تأثير العولمة بكل معطياتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وتأثيرها على التعليم العالي بشكل عام والأهلي بشكل خاص، ويشير البحث الى تطور مفهوم الاقتصاد المستند على المعرفة Knowledge-based economy الذي أحدث تغييرا هائلا في طبيعة ووظائف التعليم من خلال ادخال البعد العالمي في التعليم وبالتالي خلق تنافساً شمولياً واستدعى ادخال التكنلوجيا الحديثة بكل ادواتها الالكترونية في التواصل بين مؤسسات التعليم العالي في كل انحاء العالم. كما يتطرق البحث الى أنماط التعليم الجديدة الذي انتجها عصر العولمة الذي يسر سبل تداول المناهج وتسويقها وتبادل الخبرات العلمية والبحثية بين كافة المراكز والمؤسسات التعليمية في العالم. ويهدف البحث من خلال الإشارة الى بعض التجارب الإقليمية في ادخال البعد العالمي في التعليم الى لفت نظر صناع القرار والمعنيين في التعليم العالي في العراق سواء التعليم الحكومي والأهلي الى إدراك أهمية التواصل العالمي ومعطياته الحديثة للنهوض بالجامعات العراقية لأعداد كوادر علمية قادرة على التفاعل والعمل في المحيط الدولي.

مفاهيم أساسية: العولمة، البعد الدولي، اقتصاد المعرفة، التعليم الالكتروني

ABSTRACT

The paper unfolds the tremendous effects globalization has on public and private education intellectually, socially and economically. The most obvious manifestation of such effect is the emergence of knowledge-based economy which has introduced the international dimensions into higher education through market competitiveness and electronic technology.

The paper too highlights the new modes of education induced by globalization characterized by rapid flow of curricula, know-how exchange and distant learning and educational communication.

The paper aims at drawing the attention of decision makers in Iraq to the inevitability of international and global linkage to promote the scientific performance of the Iraqi universities.

Keywords: globalization, international dimension, knowledge-based economy, electronic learning

المقدمة

في عصر العولمة Globalization الذي نعيشه تنتقل المعارف والعلوم بكل فروعها من بلد لأخر في زمن قياسي بعد التطور غير المسبوق في اهم محركين للعولمة: وسائط النقل Transportation ووسائل الاتصال Communication (Boyd and Mitchell, ٢٠٠٦) التي غيرت المفاهيم الاقتصادية وكسرت الحواجز الثقافية وسهلت عملية التفاعل الحضاري بكل اوجهه حتى بدأ العالم من حولنا واضحا جليا وقريبا. وقد يكون مصطلح العولمة Globalization عصيا على التعريف بسبب ما ينطوي عليه من عوامل متعددة واتجاهات متنوعة في مختلف المجالات الاقتصادية والعلمية والفكرية والسياسية، الا انه يمكن القول بأن العولمة هي "عملية انسياب التكنلوجيا والاقتصاد والمعرفة وانتقال الناس والقيم والأفكار عبر الحدود." (Knight, ١٩٩٩, p. ١٤). هذه الانسيابية في مجمل المنتج المعرفي البشري من بلد لأخر اوجدت اقتصادا جديدا يعتمد على تداول المعرفة Knowledge-based economy ودخل عنصر التنافس competitiveness محركا أساسيا لكل الفعاليات البشرية.

ولم يكن التعليم العالي بمنأى عن معطيات العولمة فدخلت المؤسسات التعليمية سباقا محموما يهدف الى

١- تحسين أداء المتلقي
٢- بناء مناهج مواكبة للمقاييس العالمية من حيث الجودة والمخرجات
٣- تضمين المنتج العلمي والبحثي إنجازات ونتائج تلبي حاجات العصر المتسارعة
٤- إيجاد تنوعا في الاقسام العلمية وتخصصاتها تحاكي سوق العمل.

ولتحقيق ذلك دأبت الحكومات على دعم هذه العملية المتسارعة لكونها تسهم في تطوير نظاما جامعيا وطنيا يرتبط بالمنظومة العلمية العالمية ويسير بموازاتها ويخلق اقتصادا معرفيا يعزز موارد الدولة المالية عن طريق البرامج التعليمية المتطورة. هذا التوجه جاء استجابة لأبعاد العولمة الثلاث: انتقال السلع Commodification والخصخصة Privatization والتسويق Marketization (Bourdieu, ١٩٩٠)، لتصبح المؤسسة التعليمية تشكيلا عالميا ديناميكيا يتفاعل مع محيطه ومعطياته ويستجيب لها ويقدم الحلول المعرفية اللازمة.

ولعل أبرز مفهوم يرتبط بالعولمة ويغذيها ويحدد مساراتها هو مفهوم (البعد العالمي Internationalization) والذي يشير الى (عملية ادخال البعد العالمي المعرفي في صلب العلمية التدريسية والبحثية والخدمية للمؤسسة التعليمية) (Knight, ٢٠٠٠, p. ٢١). هذا التوجه يتميز بشموليته لكل مفردات العملية التعليمية ابتداء من حداثة البنى التحتية والمستلزمات التقنية الحديثة الى إيجاد أنماط جديدة في أساليب التدريسيين والتخصصات العلمية والى إعادة هيكلة المناهج الدراسية ومن ثم اخضاع مخرجات التعليم

Intended Learning Outcome الى معايير الجودة بكل عناصرها ومن أوجه (البعد العالمي) التي بدأت تأخذ حيزا مهما في المؤسسات:

١- البعد العالمي في البلد الام (Internationalization at Home) الذي يعرف بأنه "نشاط أكاديمي ذو بعد عالمي لا يستدعي انتقال الطالب او التدريسي الى البلد المانح لذلك النشاط." (Crowther et. al., ٢٠٠١, p. ٨١) والذي ادخل اول مرة عام ١٩٩٩ وهو يهدف الى جعل الطالب يمتلك مهارة معرفية من خلال برامج متنوعة تشمل المناهج وأساليب التدريس واستخدام التكنلوجيا الرقمية ويمكن المزاوجة بين هذين النمطين (الدراسة في الداخل والخارج) في الجامعات لتعزيز الوعي العالمي المعرفي للطالب وتنمية عقليته البحثية وبالتالي اسهامه في تعزيز القيمة الاعتبارية للمؤسسة التي ينتمي اليها.

٢- التعليم العابر للحدود Cross-Border Delivery ويأخذ إشكالاً متعددة كالتوأمة Partnership ومنح شهادات مشتركة، وإقامة مجمعات فرعية للجامعة المانحة والجامعات الافتراضية ومثال على ذلك شركة مجموعة (ابولو) Apollo Group Company التي تصدر برامجها التعليمية للعديد من الدول كبورتوريكو والمكسيك والهند والصين والبرازيل، وجامعة ويستمنستر (West minister الشريك الرئيس لجامعة البحرين الملكية الاهلية، وكذلك استراليا التي تعتبر اكبر مصدر للتعليم فلها اكثر من ٩٧٠٠٠ طالب مسجل في اكثر من ١٥٦٩ برنامج تعليمي عابر للحدود Cross-Border Education (Knight, ٢٠٠٥, pp. ١٤ – ١٤٢).

ان عملية ادخال البعد العالمي في التعليم Internationalization بأوجهها المتعددة تهدف الى التماهي مع البيئة الاكاديمية العالمية والتفاعل معها من خلال برامج متنوعة تتخذها المؤسسة التعليمية لتحقيق نتائج أهمها:

١- تعميق الحوار المعرفي والتربوي بين الدول
٢- تطوير المناهج ودفع البحوث العلمية الى التجديد ومواكبة التطور المعرفي العالمي.
٣- تطوير الجودة والمعايير الاكاديمية الدولية لتحسين موقع المؤسسة التعليمية في التسلسل التراتبي للجامعات الدولية World University Rankings
٤- الاستفادة القصوى من الخدمات التعليمية المتطورة بكل أنواعها والتي تسهم بتعزيز الموارد المالية للمؤسسة.
٥- خلق انسيابية أكثر mobility في تبادل المعرفة المتمثلة بتبادل الخبرات التدريسية والمشاريع البحثية المشتركة وبرامج التعاون العلمي المشتركة.
٦- الانتقال قصير وطويل المدى للكادر التدريسي من مؤسسة لأخرى وفق لأليات التفرغ علمي Sabbatical والاعارة واستخدام اساتذة أجانب

٧- انشاء مراكز بحثية مشتركة

٨- فتح برامج مشتركة للدراسات العليا

٩- فتح فروع للجامعات الأجنبية Branch Campus

١٠- اعداد خريج لا يملك مهارات معرفية تقليدية فحسب بل أيضا مهارات وظيفية إضافية تجعله مؤهلا لسوق العمل التنافسي Employability (Ashwill and Oanh, ٢٠٠٩)

وعليه شهدت العملية التعليمية في الكثير من الدول بدءاً من تسعينات القرن الماضي تغييرات بنيوية في إعادة بناء المناهج وتطوير أساليب التدريس والتقويم والإفادة من التكنلوجيا في وسائل التواصل وضغط المعلومات وحفضها وارشفتها واستعادتها ولم تعد المكتبات مجرد مستودعات لحفظ الكتب والمصادر بل أصبحت وسيلة للوصول الى قاعدة البيانات والمواقع العلمية والبحثية، كما دخل الانترنيت والبريد الالكتروني ليشكلا دعائم أساسية للحصول على المعلومة وتداولها ونشرها (Hawkins and Battin, ١٩٩٨) إضافة الى التعليم المباشر (Online learning) وتوأمته مع التعليم المكاني (Physical and online) ليضيف بعدا علميا ومعرفيا جديدا للعملية التعليمية كما بدأت عملية تدويل المناهج بين المؤسسات التعليمية والبحثية في ظاهرة اطلق عليها اسم(McDonaldization of Higher Education) وهي ظاهرة اجتماعية جاء بها عالم الاجتماع (جورج رتزر George Ritzer) في كتابه (The McDonaldization of Society) عام ١٩٩٣ مشيراً الى ظاهر انتشار الوجبات السريعة والتي أصبحت من سمات العصر الحديث التي تميزت كما يقول (رتزر) بأربعة مبادي (إمكانية الحدس Predictability) و (إمكانية تقدير الشيء Calculability) و (الكفاءة Efficiency) و (الجودة Control)، والعملية برمتها هي تعبير مجازي عن إمكانية إيصال البضاعة او المنتج بالمواصفات التي يطلبها الزبون، كذلك الحال في العلمية التعليمية في عالمنا المعاصر، التي أصبحت خاضعة لمقاييس ومواصفات عالمية وفق المعايير المذكورة أعلاه وبالإمكان نقلها وتقديمها في أماكن وازمنة متعددة، ووفق هذا المفهوم تقوم الجامعة بتقديم (خدماتها) بالشكل الذي يمكن الطالب (المستهلك Consumer) ان يقيس مدى قدرة الجامعة على تزويده بمهارات تؤهله لإيجاد فرصة في سوق العمل وفق هذه الرؤيا قامت العديد من الدول عل سبيل المثال استراليا وسنغافورة بتأسيس شبكات اكاديمية دولية تمكن الطالب من تلقي البرامج التعليمية في بلده الام وربما بلد اخر غير البلد المانح (Scott, ١٩٩٨, p. ٢٢)

التعليم الأهلي واستجابته للعولمة

لم يكن التعليم العالي بعيدا عن هذه التطورات المتسارعة في التعليم وادواته الجديدة في التنفيذ والتسويق سيما وان التعليم الأهلي يرتبط مباشرة بسوق العمل وتلبية الحاجات المعرفية المستجدة يخضع لمبدأ التنافس الامر الذي جعله اسرع استجابة واكثر مرونة من التعليم الحكومي في التعامل مع حركة التغيير في تنفيذ البرامج التعليمية، وشهد الربع الأخير من القرن العشرين تطوراً واسعا في التعليم العالي الأهلي ومن الدول السباقة في هذا المجال اليابان وكوريا الجنوبية وماليزيا والهند والصين، ولعل ماليزيا تمثل نموذجاً مهماً

وليس وحيداً على توظيف التعليم العالي الأهلي بالشكل الامثل لتتحول من الاقتصاد المعتمد على الإنتاج production-based economy الى اقتصاد معتمد على المعرفة knowledge-based economy حيث استطاع قطاع التعليم الأهلي فيها من استيعاب ٥٠ % من الطلبة المسجلين في التعليم العالي كما ارتفع عدد الطلبة الأجانب الدارسين في مؤسساتها العلمية من ٣٣٠٩٣ طالبا في نهاية ٢٠٠٥ الى ٣٨٩٠٠ في نهاية عام ٢٠٠٦ (Arokiasamy, ٢٠١٠, p.٨) وبدا التعليم العالي خاصة في اسيا ينتقل من الدور الثانوي peripheral في العملية التعليمية الى دور مركزي central من حيث المدخلات والمخرجات وقدرته في رفد المجتمع المحلي الإقليمي العالمي بكفاءات ومهارات مؤثرة وفاعلة كما تقدم التعليم العالي خطوة نوعية بظهور جامعات أهلية نخبوية Elite Private Universities مثل جامعة (ستانفورد) و (شيكاغو) و (كولومبيا) في الولايات المتحدة وجامعة (Waseda Keio) في اليابان وجامعتي (Yonsei) و (Sogang) في كوريا الجنوبية وجامعة (جافريانا Javeriana) في كولومبيا وهي جامعات رائدة تتميز بالرصانة العلمية من حيث أساليب التدريس والمناهج واستخدام التكنولوجيا الحديثة واصبح اسم الجامعات النخبوية مقترن بالحصول على شهادة جامعية تؤهل حاملها على الحصول على مكانة مرموقة ذات مردود عالي في المجتمع (ل Gerber and Cheung, ٢٠٠٨)

مبادرات وبرامج تعليم دولية

من المبادرات والبرامج المعروفة دوليا والتي بنت جسور للتعاون والتنسيق مع العديد من الجامعات الاهلية وساهمت في تطويرها:

١- اعلان بولونيا (Bologna Declaration) لعام ١٩٩٩ وهو جهد إصلاحي جمعي ساهمت فيه مؤسسات حكومية وجامعية ومساهمين ومنظمات دولية وهيئات ضمان الجودة لتأسيس (الهيئة الاوربية للتعليم العالي (European Higher Education Area (EHEA) تهدف الى تعزيز التعاون العالمي في مجال تبادل الخبرات العلمية للطلبة والتدريسيين في اوروبا وفي الدول الأخرى إضافة الى قيامها بـ:

- تسهيل انتقال الطلبة والتدريسيين من بلد لأخر لأغراض علمية
- تنمية قدرات الطلبة واعدادهم لمسيرة علمية وعملية ناجحة
- تقديم خدمات التعليم العالي وفق مواصفات عالمية في الأساليب والأدوات والاهداف

وتوسعت الهيئة لتضم حاليا (٥٧) عضوا من منظومة التعليم العالي لأكثر من ٤٨ بلدا

٢- برنامج Erasmus Mundus لعام ٢٠٠٩ وتأسس في اوروبا لتطوير التعليم العالي وتعزيز الحوار والتواصل بين الشعوب من خلال التعاون الأكاديمي وتبادل الخبرات ويهدف الى تنفيذ برامج تعليمية

مشتركة مع الدول والتوأمة مع مؤسساتها التعليمية ودعم الباحثين من الطلبة والتدريسيين، وبدأت الكثير من الجامعات الاهلية بالاستفادة من البرامج العلمية التي يقدمها هذا البرنامج

الأردن: نموذجا عربيا في التعليم الأهلي

بدأت مسيرة التعليم الجامعي الأهلي في الأردن في التسعينات بجامعة عمان الاهلية لتصل الى (٢١) جامعة أهلية ولعل اهم ما يميز الجامعات الأردنية من خلال معايشة الباحث لبعض جامعاتها الاهلية والحكومية من خلال العمل التدريسي لمدة خمس سنوات ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٨

- البنى التحتية المتطورة من حيث المباني والقاعات الدراسية والمختبرات والوحدات الإدارية
- ادخال الأسلوب الالكتروني الرقمي في كافة مرافق الجامعات الأردنية العلمية والإدارية
- تطور المكتبات الالكترونية وارتباطها الالكتروني بالمكتبات الدولية مما يوفر سلاسة في الحصول على المصدر للباحث طالبا كان ام تدريسي
- دوائر التسجيل تعمل وفق الاليات الالكترونية الرقمية في تسجيل الطلبة وارشفة سجلاتهم ومتابعة وضعهم المالي، واعداد قوائم الطلبة لكافة الكليات والاقسام مما يجعل القسم العلمي متفرغ تماما للجوانب العلمية
- اتباع نظام اداري ومالي يسهل على العاملين انجاز ارتباطاتهم الإدارية والمالية بكل يسر.
- تخضع كافة الجامعات الاهلية لمعايير الجودة بشكل منتظم وبأشراف كوادر متخصصة ومنظمات معنية بهذا المجال.
- معظم الجامعات الاهلية ترتبط بمؤسسات تعليمية عالمية وتتبادل معها الخبرات العلمية والبحثية وإقامة الورشات والمؤتمرات المشتركة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فأن جامعة الاميرة سمية للعلوم والتكنلوجيا، وهي جامعة أهلية حصلت على تفويض دولي من هيئة التفويض للهندسة والتكنلوجيا Accreditation Board For Engineering and Technology (ABET) ومقرها (بالتيمور) في الولايات المتحدة في برامج هندسة الاتصالات، هندسة الحاسوب، هندسة الالكترونيات وعلوم الحاسبات.

التعليم الأهلي في الجامعات العراقية

رغم ان التعليم الأهلي في العراق بدأ في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات لا انه مازال يعاني من ناحية استجابته للبعد العالمي في التعليم العالي ـ وهي حالة يعاني منها التعليم العالي الحكومي بشكل عام لأسباب سياسية واقتصادية تمثلت في الحصار الذي كان مفروضاً على العراق خلال التسعينات، والوضع السياسي والأمني غير المستقر بعد ٢٠٠٣ ومع ذلك شهد التعليم العالي الحكومي انفتاحاً على الجامعات الأجنبية وخاصة

المؤسسات التعليمية الامريكية من خلال برامج متعددة تمثلت بالتوأمة والزيارات وعقد المؤتمرات والورش، الا ان غياب التنسيق مع الجامعات الاهلية من خلال وزارة التعليم العالي حرم الجامعات الاهلية من فرصة الاستفادة القصوى من تلك الفعاليات وربما تتحمل الجامعات الاهلية جزء من المسؤولية لأنها لم تبادر للتواصل مع تلك المؤسسات، فعلى سبيل المثال منظمة IREX الامريكية بدأت نشاطها في العراق منذ عدة سنين بالتنسيق مع وزارة التعليم العالي من خلال برنامج (التوأمة بين الولايات المتحدة والعراق في مجال التعليم العالي) (HEP) وبرنامج الارتباط مع الجامعات العراقية (Iraq University Linkages) (UIP) وبرنامج (الإنجاز والتميز في التدريس) TEA ومن خلال تلك البرامج اكثر من (٤٠٠) تدريسي واداري تلقى تدريبا في استراتيجيات التعلم وتطوير المناهج.

وحققت برامج تدريبية في الولايات المتحدة للطلبة والتدريسيين العراقيين واقامت ورش تعليمية داخل العراق الا ان نصيب التعليم الأهلي على حد اطلاع الباحث يكاد لا يذكر لأسباب قد تتعلق بالتنسيق وعدم وجود ممثل للتعليم الأهلي يرتبط بمثل هكذا منظمات.

الخاتمة

ان ادخال عناصر ومعطيات العولمة في مؤسسات التعليم العالي ليس خياراً بل هو امر حتميا فلا يمكن لمؤسسة اكاديمية ان تنهض وتقف على قدميها لوحدها في القرن الواحد العشرون، ولابد من إدراك معطيات عصرنا الحديث وخلق بيئة اكاديمية تؤمن بالتواصل مع محيطها الإقليمي والدولي، وان يدرك صانع القرار في التعليم العالي الحكومي والأهلي ان القيم الاكاديمية والاهداف التربوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحقوق الانسان وبالتفاعل مع دول العالم وخلق كادر علمي قادر على التفاعل مع معطيات العولمة بكل اوجهها.

REFERENCES

Arokiasamy, Anatha Raj A. (2010). ***The Impact of Globalization on Higher Education in Malaysia*****. Genting International College, Pahang, Malaysia.**

Ashwill, M.A. and Oanh, D.T.H. (2009). ***Developing Globally Competent Citizens: The Contrasting Cases of the United States and Vietnam*****. In. D. K. Deadroff (Ed.),** ***The Sage Handbook of International Competence.*** **(pp. 141 – 157) – Los Angeles, CA: Sage.**

Bordieu, P. (1990). ***The Logic of Practice*****. trans. R. Nice. Cambridge: Polity Press.**

Crowther, R. E. Marshall, M. Bond, G. R.; Et al (2001). ***Helping People with Several Mental Illness to Obtain Work: Systematic Review*****, BMJ, 322, 204 – 208.**

George, Ritzer. (2007). ***The McDonaldization of Society*****. Thousand Oaks: Pine Press. P. 20.**

Gerber, Theodore P. and Sin Yi Cheung. (2008). "Horizontal Stratification in Postsecondary Education: Forms, Explanations and Implications." ***Annual Review of Sociology 34*****: 99 – 318.**

Hawkins and Battin. (1998). ***The Mirage of Continuity Refiguring Academic Information Resources for the 21st Century*****, association of American Universities, 129 – 163.**

Knight, Jane. (1999). ***A Time for Turbulence and Transformation for internationalization*** **(Research Monograph, No. 14). Ottawa, Canada: Canadian Bureau for International Educations.**

Knight, Jane. (2005). ***Higher Education Crossing Borders: A Report for the Commonwealth of Learning and UNESCO*****: (Col UNESCO 2006).**

Knight, Jane. (2008). ***Higher Education in Turmoil. The Changing World of Internationalization*****: Rotterdam: Sense Publishers.**

Malkawi, Hanan. (2013). ***Internationalization of Jordanian Universities" HRK German Relator's Conference. The Voice of the Universities.***

Scott, P. (1998). ***Massification, Internationalization and Globalization, in Peter Scott (Ed.) The Globalization of Higher Education*****. Open University Press, Buckingham, pp. 108 – 129.**

Web References

Erasmus mundusjournalism.com. Retrieved 5/11/2016.

European Higher Education Area and Bologna Press. www.ehea-info. Retrieved 5/11/2016.

Http://www.inex.org. Retrieved 5/11/2016.